

## عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ

يَا نَفْسُ، إِلَّا نُقْتَلِي تَمُوتِي!!

عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس مُستخفياً من كفار قريش مع الوفد القادم من المدينة هناك عند مشارف مكة، يُبايع اثني عشر نقيباً من الأنصار بيعة العقبة الأولى، كان «عبد الله بن رَوَاحَةَ» واحداً من هؤلاء النقباء - حَمَلَةَ الإِسْلَامِ إلى المدينة، والذين مهّدت بيعتهم هذه للهجرة التي كانت بدورها مُنْطَلَقاً رائعاً لدين الله، الإِسْلَامِ...

وعندما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يُبايع في العام التالي ثلاثة وسبعين من الأنصار أهل المدينة بيعة العقبة الثانية، كان «ابن رَوَاحَةَ» العظيم واحداً من النقباء المبايعين... وبعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة واستقرارهم بها،

كان عبد الله بن رواحة من أكثر الأنصار عملاً لنصرة الدين ودَعْمَ بِنَائِهِ، وكان من أكثرهم يقظةً لمكايد عبد الله بن أبيّ الذي كان أهل المدينة يتهيئون لتتويجه ملكاً عليها قبل أن يهاجر الإسلام إليها، والذي لم تُبارح حُلُومَه مرارة الفرصة الضائعة، فمضى يستعمل دهائه في الكيد للإسلام. في حين مضى عبد الله بن رواحة يتعقّب هذا الدهاء ببصيرة مُنيرة، أفسدت على «ابن أبيّ» أكثر مُناوراتِه، وشلّت حركة دهائه..!!

وكان «ابن رَوَاحَةَ» رضى الله عنه، كاتباً في بيئته لا عهد لها بالكتابة إلا يسيراً..

وكان شاعراً، ينطلق الشعر من بين ثناياه عَدْباً قوياً..  
ومنذ أسلم، وضع مقدرته الشعرية في خدمة الإسلام..  
وكان الرسول يحب شعره ويستزيده منه..

جلس عليه السلام يوماً مع أصحابه، وأقبل عبد الله بن رواحة، فسأله النبي:

«كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول»..؟؟

فأجاب عبد الله: «أنظر في ذلك ثم أقول»..

ومضى على البديهة ينشد:

ياهاشم الخير إن الله فضلكم  
على البرية فضلاً ما له غير  
إني تفرستُ فيك الخير أعرفه  
فِرَاسَةً خَالَفْتَهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا  
ولو سألتُ أو استنصرتُ بعضهم  
في حلِّ أمرِك مَارِدُوا ولا نَصَرُوا  
فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ  
تَثْبِيتِ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

فسرَّ الرسول ورضى وقال له:

«وإياك، فثَبَّتَ اللهُ»..

وحين كان الرسول عليه الصلاة والسلام يطوف بالبيت في  
عمرة القضاء كان ابن رواحة بين يديه ينشد من رجزه:

يارب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكيناً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا  
إن الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا

وكان المسلمون يرددون أنشودته الجميلة..

ويحزن الشاعر المُكثِّر، حين تنزل الآية الكريمة:

﴿والشُعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾..

ولكنه يَسْتَرِدُّ غِبْطَةَ نَفْسِهِ حين تنزل آية أخرى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا...﴾.

\* \* \*

وحين يُضْطَرُّ الإسلامُ لِحُوضِ الْقِتَالِ دِفَاعًا عَنِ نَفْسِهِ،  
يَحْمِلُ «ابن رَوَاحَةَ» سَيْفَهُ فِي مَشَاهِدِ «بَدْرٍ» وَ«أُحُدٍ»  
وَ«الْخَنْدَقِ» وَ«الْحُدَيْبِيَّةِ» وَ«خَيْبَرَ» جَاعِلًا شِعَارَهُ دَوْمًا هَذِهِ  
الْكَلِمَاتُ مِنْ شِعْرِهِ وَقَصِيدِهِ:

«يَا نَفْسُ إِلَّا تَقْتُلِي تَمُوتِي»..

وصائِحًا فِي الْمَشْرِكِينَ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ وَغَزَاةٍ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ  
خَلُّوا، فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ

\* \* \*

وَجَاءَتْ غَزْوَةُ «مُوتَةَ»..

وكان عبد الله ثالث الأمراء، كما أسلفنا في الحديث عن  
«زيد» و «جعفر»..

ووقف «ابن رواحة» رضى الله عنه والجيش يتأهب لمغادرة  
المدينة..

وقف يقول وينشد:

لكننى أسأل الرحمن مغفرةً      وضرّبة ذات قرع تقذف الزيدا  
أو طعنةً ييدى حرّانٍ مجهزةً      بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا  
حتى يُقال إذا مروا على جدّتى      يا أُرشد الله من غازٍ، وقدرشدا  
أجل.. تلك كانت أمنيته، ولا شىء سواها.. ضربة سيف أو  
طعنة رُمح، تنقله إلى عالم الشهداء الظافرين!!

\* \* \*

وتحرّك الجيش إلى مؤتة، وحين استشرف المسلمون عدوهم  
حزروا جيش الروم بمائتى ألف مقاتل... إذ رأوا صفوفًا لا آخر لها،  
وأعدادًا تفوق الحصر والحساب!!

ونظر المسلمون إلى عددهم القليل، فوجّها.. وقال بعضهم:  
«فلنبعث إلى رسول الله، نخبره بعدد عدونا، فيما أن يُمدنا  
بالرجال، وإما أن يأمرنا بالزحف فنتطبع»..

بَيِّدَ أَنْ «ابن رَوَاحَةَ» نهض وَسَطَ صفوفهم كالتَّهَارِ، وقال لهم:

«يا قوم...»

«إِنَّا وَاللَّهِ، مَا نُقَاتِلُ أَعْدَاءَنَا بَعْدَ، وَلَا قُوَّةَ، وَلَا كَثْرَةَ...»

«مَا نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ...»

«فَانْطَلِقُوا.. فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسَيْنِيِّينَ - النَّصْرِ، أَوْ

الشَّهَادَةِ...»

وهتف المسلمون الأقلون عدداً، الأكثرون إيماناً، ...

هتفوا قائلين:

«قد والله، صدق ابن رَوَاحَةَ»..»

ومضى الجيش إلى غايته، يلاقى بعده القليل مائتي ألف،

حشدهم الروم للقتال الضَّارِي الرَّهيب...»

\* \* \*

والتقى الجيشان كما ذكرنا من قبل...»

وسقط الأمير الأول «زيد بن حارثة» شهيداً مجيداً.

وتلاه الأمير الثاني «جعفر بن أبي طالب» حتى أدرك الشهادة في

غِبْطَةِ وَعَظْمَةِ..»

وتلاه ثالث الأمراء «عبدالله بن رواحة» فحمل الراية من

مين «جعفر».. وكان القتال قد بلغ ضراوته، وكادت القلة المسلمة تتوه في زحام الجيش العرمرم اللجج، الذي حشده هرقل...

وحين كان «ابن رَواحة» يقاتل كجندى، كان يصول ويجول في غير تردد ولا مُبالاة...

أما الآن.. وقد صار أميراً للجيش ومسئولاً عن حياته، فقد بدا أمام ضراوة الروم، وكأنما مرّت به لَمْسَةٌ تردّدٍ وتهيب، لكنه ما لبث أن استجاش كل قُوى المخاطرة في نفسه وصاح...

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنِي مَالِي أُرَاكِ تَكَرَّهِينَ الْجَنَّةَ؟؟  
يَا نَفْسُ إِلَّا تَقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامِ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ  
وَمَا تَمَنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ إِنْ تَفْعَلِي فَعَلْهَا هُدَيْتِ

يعنى بهذا صاحبيه اللذين سبقاه إلى الشهادة: زيّداً، وجعفر...

\* إِنْ تَفْعَلِي فَعَلْهَا هُدَيْتِ... \*

وانطلق يعصف بالروم عَصفاً...

ولولا كتابٌ سَبَقَ بأن يكون اليومَ موعدهُ مع الجنة، لظلَّ يضرب بسيفه حتى يُفنى الجموع المقاتلة... لكن ساعة الرحيل دقت معلنة بدءَ مسيرته إلى الله، فصعد شهيداً...

هوى جَسَدُهُ، فصعدت إلى الرفيق الأعلى رُوحُه المستبسلة  
الطاهرة...

وتحقت أعلى أمانيه:

حتى يُقال إذا مروا على جدثي يا أرشد الله من غازٍ وقد رَشَدَا  
نعم.. يابن رَواحة..

يا أرشدَ الله من غازٍ وقد رَشَدَا...!!!

\* \* \*

وبينما كان القتال يدور فوق أرض البلقاء بالشام، كان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يجلسُ مع أصحابه في المدينة، يُحَادِثُهُمْ  
وَيُحَادِثُونَهُ...

وفجأة، والحديث ماضٍ في تهلل وطمأنينة، صمت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم، وأسبَل جَفْنِيهِ قَلِيلًا.. ثم رفعها لينطلق من  
عينيه بريق ساطع يُبَلِّغُه أَسَى وحنان..!!  
وطَوَّقَتْ نظراته الآسية بوجوه أصحابه وقال:

«أخَذَ الرَّأْيَةَ «زيد بن حارثة» فقاتل بها حتى قُتِلَ  
شهيدًا.

«ثم أخذها «جعفر» فقاتل بها، حتى قُتِلَ شهيداً...»

وصمت قليلاً، ثم استأنف كلماته قائلاً:

«ثم أخذها «عبد الله بن رَواحَة» فقاتل بها، حتى قُتِلَ شهيداً...»

ثم صمت قليلاً، وتألّقت عيناهُ بومضٍ متهلِّلٍ، مطمئن، مشتاق. ثم قال:

«لقد رُفِعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ...!!»

أَيَّةَ رَحْلَةٍ مَجِيدَةٍ كَانَتْ..

وَأَيُّ اتِّفَاقٍ سَعِيدٍ كَانَتْ..

لَقَدْ خَرَجُوا إِلَى الْغَزْوِ مَعًا..

وَصَعَدُوا إِلَى الْجَنَّةِ مَعًا...

وكانت خير تَحِيَّةٍ تُوجَّهُ لذكراهم الخالدة، كلمات رسول الله

صلى الله عليه وسلم هذه:

«لقد رُفِعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ...!!»